﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الرّوم: 44]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعدَ الإخبارِ عن تفرّقِ النّاسِ يومَ القيامة بيَّنَ ما يحلُّ بهم في ذلك اليوم

بعد أن أمرَ تعالى بإقامة الدّين والثّباتِ على التّوحيد، وحذّر من يوم القيامة الذي يتفرّقُ فيه النّاسُ؛ أتبعَه ببيانِ حال النّاسِ في ذلك اليوم، وجزاءِ كلّ فريقٍ منهم[1]، ومنَ المناسبة: أنّه لمّا ذكرَ التّفرّقَ في ختام الآيةِ السّابقة؛ أتبعَه ببيانِ إلى أين يكونُ التّفرّقُ بين النّاس في ذلك اليوم، فذكر أنّ منهم في الجنّة، ومنهم في السّعير[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَمْهَدُونَ﴾: (مهد) أصلٌ يدُلُّ على تَوْطِئَةٍ وتَسْهيلٍ لِلشَّيْءِ، ومِنْهُ المَهْدُ، ومَهَّدْتُ الأمْرَ: وطَّأْتُهُ، وتَمَهَّدَ: تَوَطَّأ، والمِهادُ: الوِطاءُ مِنْ كُلِ شَيْءٍ[3]، وأصلُ المَهْد: التَّوْثيرُ، ومنه يُقالُ للفِراشِ: مِهادٌ لِوِثارَتِه، وقَدْ مَهَدْتُ الفِراشَ مَهْدًا: بَسَطْتُه، ووَطَّأْتُه، ويُقالُ: مَهَدْتُ لنَفْسي ومَهَّدت، أي: جَعَلْتُ لَها مَكانًا وطيئًا سَهْلًا، ومَهَدَ لِنَفْسِهِ خَيْرًا: هَيّأه وتَوَطَّأه؛ ومنه قولُه تعالى: ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾؛ أي: يُوَطِّئون[4]، وتمهيدُ الأمور: تسويتُها وإصلاحُها، وتمهيدُ العُذر: بسطُه وقَبولُه[5]، والمُرادُ به في الآية الكريمة: يوطِّئون ويهيّئون[6].

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 21/ 57.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 109.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مهد).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (مهد).
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (مهد).
(6) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 341، والعليميّ، فتح الرّحمن: 5/ 290.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا يقعُ جزاءُ الكفر إلّا على الكافر والمؤمنون في رياض الجنّة يُحْبَرون

يُخبر النّظمُ الكريمُ عن جزاء النّاس يومَ القيامة، فمَن كفر منهم فإنّ عاقبةَ كفره واقعةٌ عليه لا على غيره، وأنّه سيحملُ وحده ما يترتّبُ على ذلك من عذابٍ مهينٍ، وأمّا مَن عمل الصّالحاتِ بعد الإيمان بربّه وحدَه فقد أعدّ لنفسه العُدّةَ، ووطّأ لنفسه الفراشَ حتّى لا يُقضَّ عليه مضجعُه، فإنّهم لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، وهم في رياض الجنّة يُحبَرون[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

سِرُّ الفصلِ في صدر الآية:

ثمارُ الأعمالِ في الدّنيا رَبـاحٌ في الآخرة أو خَسارٌ

فصلَ النّظمُ الجليلُ الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾؛ لأنّها مُستأنَفةٌ استئنافًا بيانيًّا؛ فلمّا ذَكَرَ أنّهم فريقان؛ فريقٌ في الجنّة وفريقٌ في السّعير؛ أتبعَه ببيان كيفيّتِه، فالجملة مُساقةٌ للجواب عن سؤالِ مَن كأنّه قال: إلى أين يتفرّقون؟ فقيل: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾[2].

وجهُ التّعبيرِ بـ ﴿مَن﴾:

جزاءُ الكفرِ عامٌّ لكلّ الكفّار

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بـ ﴿مَن﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ وهو هنا اسمُ شرطٍ جازمٌ[3]، والتّعبيرُ به يدلُّ على عموم الحُكم، وأنّه ليس مُرادًا به فئةٌ ما، بل كلُّ مَن كفرَ في كلّ مكانٍ وزمان؛ فإنّه داخلٌ تحتَ مضمونِ الخطاب.

إيثارُ التّعبيرِ بـ ﴿كَفَرَ﴾ مادّةً وصيغةً:

الكفرُ عنوانٌ لكلّ المعاصي شاملٌ لكلّ السّيّئات

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ الكفرِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾؛ لأنّ الكفر عنوانٌ على ترك الدّين والعصيان،

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 21/ 58، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 94.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 109.
(3) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 11/ 54.

فهو يدلُّ على غيره منَ المعاصي، ففي التّعبير به نوعٌ منَ الإيجاز، فمَن جاء بالكفر يُتَوقَّعُ منه كلُّ سُوءٍ آخرَ، وجاء التّعبيرُ عنه بالفعل الماضي؛ للدّلالة على أنّ الجزاء مبنيٌّ على تحقّق الكفر، وتأكُّدِ حصولِه.

دلالةُ الفاءِ في ﴿فَعَلَيْهِ﴾:

جزاءُ الكفرِ وثيقُ الارتباطِ بالكافر

أدخل النّظمُ الجليلُ الفاءَ على جواب الشّرط في قوله جلّ شأنُه: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾؛ لربط الجواب بالشّرط؛ لأنّ جملة جواب الشّرط ليست فعليّةً، ولا دليلَ يُبيّنُ أنّها سيقتْ لبيان جزاءِ الذين كفروا؛ فوجب دخولُ الفاء لبيان ارتباطِها، فالفاء سابكةٌ للنّص، رابطةٌ بين الكلامَيْن اللّاحق والسّابق، فيكون جزاءُ الكُفر مُرتبطًا بالكافر نفسِه لا بغيره.

فائدةُ التّعبيرِ بحرفِ الاستعلاءِ (على):

عاقبةُ الكُفرِ شنيعةٌ مُستحقَّةٌ بالكفر

عبّرَ النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ (على) الدّالّ على الاستعلاء في قوله جلّ شأنُه: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾؛ وذلك للدّلالة على أنّ في الكفر تَبِعةً وضُرًّا يلحقُ بأهله، فمَن كفر فإنّ جزاءه العقابُ الشّديدُ منَ اللّه تعالى، فاكتفى بدلالة (على) هذه عنِ التّصريح بلفظ العقاب، وهذا من بليغ الإيجازِ وبديعِه[1]، فالتّعبيرُ عن حالة الكافر بـ(عليه)، يدلُّ على الفعل والمشقّة[2].

سِرُّ إفرادِ الضّميرِ (الهاء):

لا منزلةَ للكافر عند الله تعالى

إفرادُ الضّمير (الهاء) في قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ باعتبار لفظة ﴿مَن﴾؛ للإشارَة إلى انعدام منزلتِهم عنده تعالى وقلّتِهم كيفًا، وإلى اتّحادهم في ضَرر الكفرِ عليهم، وإن كان عذابُهم مُتفاوتًا[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 116.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 396.
(3) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاوي: 15/ 156.

نُكْتَةُ تقديمِ شِبه الجملة ﴿فَعَلَيْهِ﴾:

جـزاءُ الكفرِ مختصٌّ بفاعله لا يتعدّى صاحبَه

قدّم النّظمُ الجليلُ شبهَ الجملة: ﴿فَعَلَيْهِ﴾ في جملة جواب الشّرط، ولم يقل: (فكفره عليه)؛ للدّلالة على الاختصاص[1]، فإنّ ضَرَر الكفرِ لا يعودُ إلّا على الكافرين، كما أنّ منفعةَ الإيمان والعملِ الصّالح ترجعُ إلى المؤمنين، ولا تُجاوزُهم[2].

بلاغةُ الإيجازِ بالقَصْر في ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾:

عاقبة الكفر وبالٌ وخسرانٌ

جمعَ النّظمُ الجليلُ في قوله جلّ شأنُه: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾ الكثيرَ منَ المعاني، فهي عبارةٌ جامعةٌ قليلةُ الألفاظِ وافرةُ المعاني[3]، فمَن تحمّل مَضارَّ كفره فإنّه سيُحاط بكلّ المعاصي التي اقترفت يداه[4]، مع الدّلالة على اختصاص العذابِ على الكفر بفاعله، لا يتعدّاه إلى غيره.

بلاغةُ المجازِ المُرسلِ في لفظ الكفرِ:

جـزاءُ الكفرِ نارٌ مؤبّدةٌ

من وجوه معاني قولِه: ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾، أي: عليه وبالُه، وهو النّارُ المُؤبّدة، بتقدير المُضاف، ومثلُ هذا شائعٌ كقوله تعالى: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ [الرّوم: 41]، ويجوزُ أن يكون مَجازًا مُرسلًا بذِكْر السّبب وإرادةِ المُسَبّب[5].

دلالةُ الواوِ في ﴿وَمَنْ عَمِلَ﴾:

إتباعُ التّرهيبِ بالتّرغيب منهجٌ تربويٌّ قرآنيٌّ

عطفَ النّظمُ الجليلُ الإخبارَ بأنّ منفعةَ العملِ الصّالح ترجعُ إلى المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾، على الإخبار بأنّ تَبِعةَ الكفر ترجعُ على الكافرين في قوله جلّ شأنُه: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾[6]، وفائدةُ هذا العطف تكملةُ البيان،

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 63.
(2) القنوجيّ، فتح البيان: 10/ 259.
(3) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 257.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 483.
(5) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاوي: 15/ 156.
(6) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 11/ 54.

فلمّا بيّنَ قولَه: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ بقولِه تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾، الدّالِّ على الإنذار، عطفَ عليه ما يدلُّ على البِشارة، بجامع التّضادِّ؛ إذ مِن دَأبِ القرآنِ تعقيبُ النِّذارةِ بالبِشارة، والتّرهيبِ بالتّرغيب[1].

معنى (مَن) في ﴿وَمَنْ عَمِلَ﴾:

جـزاءُ العمل الصّالحِ عامٌّ لكلّ مؤمنٍ وصالحٍ

كرّر النّظمُ الجليلُ اسمَ الشّرط الجازم (مَن)[2] في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾؛ للدّلالة على عموم الحُكم، فمَضمونُ الخطابِ لا يختصُّ بفئة منَ النّاس، بل هو عامٌّ في كلّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، فالحُكم شاملٌ لكلّ زمانٍ ومكان؛ لأنّ العمل الصّالحَ يأتي من ذات الإنسان، ويستقبلُه هو مِنْ غيره، وكلمة (مَنْ) هنا تصلحُ للمُفرد وللمُثنّى وللجمع بنَوعيْه، وتَحِلُّ محلَّ جميعِ الأسماء الموصولةِ، كذلك في هذه الآية استعمل (مَنْ) للدّلالة على المفرد، وعلى الجمع[3].

سرُّ التّعبيرِ بـ ﴿عَمِلَ﴾ مادّةً وصيغةً:

العملُ المقصودُ هو المَنوطُ بالجزاء

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ العمل في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾؛ لأنّ العمل يدلُّ على ما يُفْعَل قصدًا وإرادةً، فهو تعبيرٌ عن صلاح نيّاتِهم، وجيء به فعلًا ماضيًا للدّلالة على تحقّق عملِهم ورسوخِهم فيه.

سِرُّ تنكيرِ ﴿صَٰلِحًا﴾، وحذفِ الموصوفِ:

صلُحتِ الأعمالُ حتّى كأنّها الصّلاحُ نفسُه

عبّر النّظمُ الجليلُ عن صلاح أعمالهم بصيغة التّنكير في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾؛ تفخيمًا لصِفة الصّلاح وتعظيمًا لها، وحذفَ الموصوفَ وأبقَى الصّفةَ؛ إذِ التّقديرُ: ومن عمل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 116.
(2) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 11/ 54.
(3) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 18/ 11493.

عملًا صالحًا؛ فحُذِف للإيجاز، وذلك لمّا كثُرَ ذِكْرُ (العمل الصّالح)، استُغني بالوصف عنِ الموصوف، كما أنّ فيه مبالغةً في صلاحهم؛ فكأنّ عملهم تحوّلَ إلى الصّلاح نفسِه، فهم يعملون الصّلاحَ لا العملَ.

دلالةُ الفاءِ في ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ﴾:

الرّبطُ بين جُزئَيْ جملةِ الشرط وتعلّقُ التّمهيدِ بالعمل الصّالح

ربط النّظمُ الجليلُ جملةَ جوابِ الشّرط بفعل الشّرط بالفاء الرّابطة في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾؛ للدّلالة على تعلّق التّمهيد بالعمل الصّالح، فالفاءُ تربطُ بين جزئيّ جملة الشّرط؛ لبيان تعلّق الثّاني بالأوّل، فالعملُ الصّالح مرتبطٌ بنتيجته ارتباطًا لازمًا.

دلالةُ اللّامِ في ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ﴾:

فوائدُ العملِ لـلأنفسِ وعوائدُه لها

عبّر النّظمُ الجليلُ بحرف الجرّ (اللّام) في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾؛ للدّلالة على التّعليل؛ فغايةُ التّمهيد والتّوطئة إنّما هي لأجل أنفسِهم، وذلك تعبيرٌ عن خوفهم منَ الله تعالى وتقواهُم، فمبادرتُهم إلى العمل الصّالح، هو استجابةٌ لله تعالى وطلبٌ لمرضاته، التي تكون غايتُها النّجاةَ منَ النّار والفوزَ بالجِنان، ويجوز أن تكون اللّام في ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ﴾ للاستحقاق؛ فجَنيُ ما تزرعُه الأيدي هو أعزُّ استحقاقٍ.

نكتة تقديم شبه الجملةِ، وإضافتها إلى الضميرِ:

لا يَنتفِعُ منَ العملِ الصّالحِ إلّا العاملون أنفسُهم

قدّم النّظمُ الجليلُ شبهَ الجملة منَ الجارِّ والمجرور ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ﴾ على الفعل ﴿يَمْهَدُونَ﴾؛ للدِّلالة على الاختصاص[1]، أي: ليس المنتفِعُ من أعمالهم الصّالحة سواهم، وليس لله تعالى فائدةٌ من ذلك؛ فهو الغنيُّ عن عباده، وفي إضافة لفظِ الأنفس إلى ضمير الجمع الغائبِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ﴾ دلالةٌ على اختصاص فائدةِ العملِ الصّالح بهم[2].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 63.
(2) القنوجيّ، فتح البيان: 10/ 259.

سرُّ اختيارِ لفظِ (الأنفس)، ودلالةُ جمعِها:

من ثمارِ الأعمالِ الصّالحةِ تزكيةُ الأنفس

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ (النّفس) في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾؛ للدّلالة على أنّ العمل الصّالحَ من ثماره تزكيةُ النّفس والرّقيُّ بها حتّى تنالَ ذلك الأجرَ الجزيل، فالعملُ الصّالحُ يزكّي النّفوسَ ويطهّرُها منَ الرّذائل، وجاء التّعبيرُ عنِ النّفس بصيغة الجمع؛ للدّلالة على أنّ العمل الصّالحَ ينفعُ المؤمنَ وأهلَه ووالدَيه، فالمؤمنُ للمؤمن كالبنيان، يشدّ بعضُه بعضًا، وفيه ترغيبٌ بالعمل الصّالحِ، بأنّ فائدةَ العمل ستكون مباركةً بحيثُ تعُمُّ المؤمنَ ومَن معه[1].

سرُّ التّعبيرِ بـ ﴿يَمْهَدُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

العملُ الصّالحُ في الدّنيا هو إعدادٌ وتهيئةٌ للسّكن في الجِنان

عبّر النّظمُ الجليلُ بلفظِ (المهاد) في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾؛ لدلالة المِهاد على بسط الفراشِ وتوطئتِه، فضلًا عن دلالته على تسوية الأمور وإصلاحِها، فالتّعبيرُ به يدلّ أنّ المؤمن الذي يعملُ صالحًا إنّما هو يُعِدُّ لنفسه في الجنّة سكنًا ومضجعًا هنيئًا، فهو يدلُّ على أنّهم يُسوون المنزلَ والسّكن في تلك الدّار[2]، والتّعبيرُ عنه بالفعل المضارع تصويرٌ لثمرة العمل الصّالح، واستجلابٌ للصّورة والمشهدِ، فالسّامعُ يرى في ذهنه صورةً لإعداد تلك المساكن وفرشِها بحيثُ تكون نُزُلًا خالدًا، ويحتملُ ضميرُ الجمع في ﴿يَمْهَدُونَ﴾ تفخيمَ شأن المُؤمنينَ، وفيه أيضًا رعايةٌ للفاصلة[3].

بلاغةُ الاستعارةِ في لفظ ﴿يَمْهَدُونَ﴾:

مَن يطلبُ الرّاحةَ في الآخرة يُمَهِّدُ الطّريقَ إليها بالعمل الصّالح في الدّنيا

لفظُ ﴿يَمْهَدُونَ﴾ استعارةٌ منقولةٌ منَ الفرش ونحوِها، إلى الأحوال والمراتبِ[4]؛ للدّلالة عن كونهم يفعلون في الدّنيا ما يَلْقَون

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 110.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 63، وطنطاويّ، التّفسير الوسيط: 11/ 94.
(3) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاوي: 15/ 157، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 117.
(4) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 341.

به ما تقَرُّ به أعينُهم، وتُسَرُّ به أنفسُهم في الجنّة[1]، والاستعارةُ هنا تبعيَّةٌ، شَبَّه حالةَ الملكَّفِ مع عَمَله الصّالح وما يتحصَّلُ به منَ الثَّوابِ ويَتخلَّصُ منَ العقاب، بحالةِ مَن يُمهِّدُ فراشَه ليستريحَ عليه، ولا يُصيبَه في مَضجَعِه ما يُنغِّصُ عليه[2].

الدّنيا للمؤمن دارُ نَصَبٍ وفناءٍ والآخـرةُ لـه دارُ تنعّمٍ وبقاءٍ

ويجوز حملُ الكَلام على الاستعارة التّمثيليّةِ بتمثيل حالِ المؤمنين في عملهم الصّالح بحالِ مَن يتطلّبُ راحةَ رُقادِه فيمهّدُ فراشَه، أي: يَبسطُه، ويُوطِّئُه، ويُسوّيه لنفسه؛ ليكونَ في غاية الرّاحة بحَيْثُ لا يصيبُه في مرقده، أو يتعرضُ له في مضجعه ما يؤذيه ويَبغضُه من أدنى خشونة، أو يُبْس، أو نحوِها ممّا يَستفزُّ منامَه، والتّعبيرُ هنا بالاسْتعارَة يزيد التّعبيرَ فخامةً[3].

بلاغةُ الانتقالِ من خطابِ المُفردِ إلى الجمع:

مِن سَعةِ رحمةِ الله تعميمُ خيرِ المؤمن على أهله

انتقل الخطابُ القرآنيُّ منَ الإفراد عند الحديث عن جزاء الكافرين بقوله ﷻ: ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾، إلى الجمع عند الحديث عن جزاء المؤمنين في قوله جلّ شأنُه: ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾، فلم يقل: (فلنفسه يمهدُ)؛ وذلك للإشارة إلى أنّ رحمة الله تعالى أعمُّ من غضبه؛ فإنّ فائدةَ العمل الصّالح تشملُ المؤمن وأهلَه وذرّيتَه، وأمّا الغضبُ على الكافر فإنّه مسبوقٌ بالرّحمة أوّلًا، ولأنّ ضررَ الكفر لازمٌ لصاحبه لا يتعدّاه إلى أهله ومَن معه وذرّيّته[4].

دلالةُ مقابلةِ الكفر بالعمل الصّالح:

العملُ الصّالحُ مُختصٌّ بأهل الإيمان

قابل النّظمُ الجليلُ بين جزاء الكافر والمؤمن في قوله جلّ شأنُه: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾، فجعل الكفرَ بمقابل العملِ الصّالح دون أن يجعلَه مُقابلًا للإيمان،

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 396.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 12/ 258. (بتصرّف).
(3) القونويّ وابن التّمجيد، حاشيتان على البيضاوي: 15/ 157، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 117.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 106، وابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 15/ 420.

فلم يَقُل: (ومَن آمن)؛ وذلك للتّنويه بأنّ المؤمنين هم أهل الصّلاح، وأنّ الأعمال الصّالحةَ من فعل المؤمنين لا من فعل الكافرين، كما أنّ فيه تحريضًا للمؤمنين على العمل الصّالح؛ خشيةَ الاتّكال على الإيمان وحده[1].

بلاغة الاحتباك في الآية:

العمل الصالح شعار أهل الإيمان وعنوان لهم

في الآية احتباكٌ لطيفٌ، فذكر واحدًا منَ السّببيْن، وواحدًا منَ الثّمرتيْن؛ ففي العبارة الأولى ذَكَرَ الكفرَ الذي هو السّبب، وهو يدلّ على الإيمان غيرِ المذكور في العبارة الثّانية، وذَكَرَ في العبارة الثّانية العملَ الصّالح الذي هو الثّمرةُ، وهو يدلّ على العمل السّيّءِ في العبارة الأولى[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المهاد والفِراش:

الفرشُ بُسطٌ والمِهادُ توطِئَتُه وتوثيرُه والمِهادُ أخصُّ منَ الفراش

المِهادُ من (مهد)، وهو أصلٌ يدُلُّ على تَوْطِئَةٍ وتَسْهيلٍ لِلشَّيْءِ[3]، يُقالُ للفِراشِ: مِهاد لِوِثارَتِه، وأصلُ المَهْدِ التَّوْثيرُ؛ يُقالُ: مَهَدْتُ لنَفْسي ومَهَّدت، أي: جَعَلْتُ لَها مَكانًا وطيئًا سَهْلًا[4]، أمّا الفَرْشُ فهو البسطُ، وفَرَشْتُ الشّيءَ أفرشُه فراشًا: بسطتُه[5]، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: 22]، أي: ذلَّلَها، ولم يجعلْها ناتئةً لا يمكن الاستقرارُ عليها[6]، فالفرشُ يدلُّ على البسط، أمّا المهاد فيدلُّ على توطئة الفراش وتمهيدِه وتوثيرِه، وعبّر في الآية بقوله: ﴿يَمْهَدُونَ﴾ لأنّ الأعمال الصّالحةَ سببٌ وممهِّدٌ لدخول الجنّة[7].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 116 - 117.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 110 - 111.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مهد).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (مهد).
(5) الجوهريّ، الصّحاح: (فرش).
(6) الرّاغب، المفردات: (فرش).
(7) القنوجيّ، فتح البيان: 10/ 259.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والأربعون،
سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 43 ، 816 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-94-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 43 : المجلد الثالث والأربعون، سورة الرّوم من الآية 08 إلى سورة لقمان الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-94-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9381682 بتاريخ 2024/12/31م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»